المُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

الإنسان منذ وطئت قدماه الأرض راح يصارع أخاه، حتى قتل ابن آدم أخاه، ووصفت الملائكة آدم بأنه مفسد في الأرض سافك للدماء، ولم يكتفِ الإنسان بنوع واحد من الصراع، ولا مع جهة واحدة، فهو يصارع الحيوان، والطبيعة، كما تصارع الحيوانات بعضها بعضًا، وألاحظ أن الحيوانات الأليفة تعيش بوئام وسلام، لكنها متى حضر الطعام تقاتلت، وتصارعت...

والإنسان لكونه صاحب عقل وإرادة، وصاحب مواهب، فهو يستعمل كل مواهبه ومهاراته في صراعه، وهو يتفنن في ذلك، ويجدد ويبدع بشكل دائم، حين كان بدائيًّا كانت وسائل صراعه كذلك، وكلما تقدم تفنن في صناعة السلاح، وفي فتح جبهات جديدة.

وقد سجل التاريخ البشري (مفارقة)، فالإنسان الأكثر علمًا ومعرفة وتقدمًا كان - ومازال- الأكثر عدوانية وفتكًا؛ ليس بأخيه الإنسان فقط، بل بكل ما حوله من حيوان ونبات وبيئة، حتى يمكن القول: إنه العدواني (رقم واحد)، وسجل التاريخ مذابح كبرى، فشهد القرن العشرون حربين كونيتين، يقدر المستشار الأمريكي بريجسنكي أنه قُتل في هذا القرن (١٧١

مليونًا) من البشر، ودمرت مدن بكاملها، ومات جوعًا عشرات الألوف، واليوم يشهد العالم - وهو صامت - دولة توزع جنودها على أكثر من قارة، وتشمل أكثر من (٦٠) دولة، هذا في العلن؛ أما في السر فتساهم في الانقلابات العسكرية، وتهييج الأقليات، ولا تترك فرصة للتدخل وفرض ما تريد إلا اهتبلتها.

ويبدو أن الصراع لن يتوقف، لكنه يتنوع، ويبدع وسائل جديدة. ويمكن القول: إن أقدم صراع والأكثر ديمومة هو الصراع بين (الحق والباطل)، وقد مارسه الأنبياء عليهم السلام، ومازالت ملايين من البشر تقف تحت راية الحق، ومثلها وأكثر منها تحت راية الباطل، ولكل جنوده ووسائله وأخلاقياته، والكل يسعى لتجنيد التحالفات وإقامتها، ومن يكون أفضل معرفة (بقواعد اللعبة) ويحسن الحشد، ويجيد التحالف ينجح ويتقدم، ولو كان شيطانًا مريدًا، ومن لا يحسن قواعد اللعبة، ولا يجيد التحالف يخسر المعركة، ولو كان نبيًّا رسولًا...

وكل من يعتقد أن النصر مكتوب له؛ لأنه على الحق وعدوه على باطل، فهو يخدع نفسه، وستتوالى عليه الهزائم حتى يشبع، وتضربه التخمة، ويصير في ذيل القافلة...

هذا البحث يطرح هذه (الفكرة) وقد درس ما يطلق عليه القرآن (التدافع) وما يسميه هيغل (جدلية الصراع) وحركة

التاريخ، والعوامل المؤثرة فيه، الذي سوف يستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها، كذلك يسجل البحث مراوغة تجار الحروب، واختراع عناوين خادعة ووسائل مخادعة، والبحث عن حلفاء بين جبان تهمّه نفسه، ومتخلف لا ينتمي لعصره، ونرجسي لا يهمّه شيء سوى نفسه...

إن عالم اليوم تضربه الأزمات، يستوي في ذلك مؤمن وكافر، ومن سوء الحظ كثرة الظلمة وضعف أنصار العدل، والكون يقوم على العدل والظلم يهدمه، ويحوله إلى غابة الحق فيها للأقوى، والأكثر خداعًا، والأعظم نفاقًا، وإلى الله المشتكى.